محاضرات مقياس تاريخ الجزائر الثقافي 2

المحاضرة الثالثة:

الروابط الثقافية للجزائر مع بلدان الجوار

يعتبر التواصل الثقافي أهم مظهر من مظاهر وحدة المغرب العربي، رغم التقلبات السياسية التي كانت تشهدها المنطقة المغاربية في الفترة الحديثة لاسيما فيما يتعلق بالجزائر والمغرب، التي كانت تفضي في الأخير لمعارك وحروب على حدود البلدين، إلا أن التواصل الثقافي ظل قائما ليعزز الانتماء إلى حقل ثقافي واحد.

إن تجانس العادات ووحدة الثقافة واللغة والمذهب في بلاد المغرب العربي جعلته يبدو متميزا عن باقي أقطار العالم الإسلامي، وتجلى ذلك من خلال ما نقله الرحالة المغاربة في كتبهم. فقد كان لهم الدور في تمازج الأفكار والثقافات وظلت مشاركتهم نشيطة وفعالة، كما كان لطلبة العلم الراغبين في تلقي العلوم والإجازات من علماء بلاد المغرب نفس الدور، الأمر الذي شكل من نشاط هذين الصنفين من طلاب العلم والرحالة عاملان من عوامل التجانس الفكري بين أهل العلم في البلاد المغاربية.

1 –العلاقات الثقافية بين الجزائر والمغرب الأقصى:

اتخذت العلاقات الثقافية بين المغرب والجزائر في العصر الحديث، طابعا شعبيا، حافظت من خلاله على عمقها التاريخي واستندت إلى ما يجمعها من قواسم مشتركة، مذهبيا ولغويا، على إمكانيات سبل التواصل والتفاعل بينهما، وبغض النظر عن الاتجاه العام الذي طبع ثقافة العصر، فقد شكلت اللغة التركية، والمذهب الحنفي، فضلا عن بعض الطرق الصوفية التي مارست تأثيرا روحيا بارزا في إيالة الجزائر عامة، والأقاليم الغربية والجنوبية الغربية منها خاصة المظهر الحقيقي لثقافة العصر.

فقامت هذه الطرق بدور مهم في بلورة الأوضاع الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية والاقتصادية في هذه البلاد، وجاء انتشارها تعبيرا لحاجيات الفرد والمجتمع، لم تتمكن السلطة الحاكمة من توفيرها.

يضاف إلى ذلك المستوى الثقافي المتواضع لمعظم الولاة والحكام الأتراك، والذين كان انشغالهم منصبا على احتكار المناصب العسكرية والإدارية، فقلل ذلك من مساهماتهم في الحياة الثقافية والاهتمام بمؤسساتها التعليمية، وعدم اكتراثهم بتشجيع اللغة العربية والمدارس المالكية والتعليمية الكبرى، فساهم ذلك في احتضار الحياة الفكرية، التي اتسمت بقلة الإنتاج وطغيان التقليد، وغلب عليها الطابع الجهوي الإقليمي، كما اعتمدت معظم المناطق الجزائرية على إمكانياتها الذاتية لتطوير التعليم. ومن جهة أخرى اضطر العديد من العلماء في الجزائر للهجرة إلى الخارج لاستكمال دراساتهم وتعليمهم، وكان اعتناق العدد الكبير من الجزائريين للمذهب المالكي دافعا لانتقال بعض العلماء الجزائريين إلى القرويين والزيتونة والأزهر

للتمكن من علوم هذا المذهب، ثم العودة لبلادهم من أجل تعزيزه إزاء المنافسة الحنفية. ناهيك عن مساهمة الزوايا والطرق الصوفية في إحياء ونشر العلوم الدينية والأدبية، والتي ارتبطت بأهم الطرق الصوفية المشهورة في تلك الفترة.

وجدير بالذكر أن الاستقرار السياسي الذي عرفه المغرب الأقصى عموما، مقارنة، بأحوال الجزائر السياسية، وكذا إسهامات سلاطين المغرب في تطوير الحياة العلمية والثقافية في المغرب، من ذلك جهود المولى محمد بن عبد الله الإصلاحية ما بين (1757-1790م)، ثم جهود خلفه المولى سليمان السلطان العالم، وغيرها من الإسهامات. بالإضافة إلى الإشعاع الثقافي والعلمي الذي لعبه القرويين في حياة المغاربة منذ سقوط الأندلس، ناهيك عن النخب البارزة من العلماء الفطاحل على المستوى المحلي والمغاربي، بل والإسلامي عامة، التي كانت بحق منارات للعلم يقصدها الطلاب، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمذهب المالكي. وهذا يجعلنا نقول أن المغرب الأقصى كان من الوجهات المفضلة للكثير من الجزائريين الراغبين في طلب العلم، بعد الحرمين الشريفين والأزهر، مقارنة بنظرائهم الوافدين من تونس وليبيا.

وبالنسبة للروابط الثقافية بين المغرب وايالة الجزائر، هناك العديد من القرائن والشواهد التي تبرهن على استمرارية صور وملامح التفاعل الثقافي بينهما، ويهمنا في هذا الصدد أن نشير إلى بعض النماذج التي تؤكد انفتاح العلماء من الجزائر والمغرب على البيئة المغربية والجزائرية على حد سواء .

فضّل بعض العلماء الجزائريين وطلاب العلم التوجه إلى المغرب والإقامة به والمساهمة في إثراء الحياة الفكرية بكل حرية ودون منافسة، كما أخذ بعضهم عن كبار علماء المغرب، وأخذوا عنهم الإجازة في مروياتهم ومؤلفاتهم، ونذكر منهم:

-أحمد الونشريسي صاحب كتاب "المعيار" -كان وحده خزانة علم ودائرة معارف- استقر بفاس وظل ابنه عبد الواحد في فاس أيضا، الذي كان له مجلس خاص لا يحضره إلا أكابر العلماء وقد تولى الإفتاء والقضاء والتدريس.

-محمد بن أحمد المعروف بابن الوقاد التلمساني الذي تولى عدة وظائف رسمية كالقضاء والإفتاء والتدريس في مدن مختلفة من المغرب كفاس ومكناس وتارودانت وسجلماسة وقد أدركته الوفاة بتارودانت.

-محمد أحمد القسنطيني المعروف بابن الكماد الذي رحل عن قسنطينة إلى المغرب، المنتمي إلى عائلة شهيرة بالعلم والشرف تولت القضاء والتدريس والإفتاء في قسنطينة جيلا بعد جيل، فبعد أن درس في بلاد زواوة على محمد المقري وفي العاصمة على محمد بن سعيد قدورة، قصد فاس التي كانت موئل للعلماء، ولعلمه وفضله ازدحم الناس عليه ولاسيما عند تدريس الأصول على جمع الجوامع للسبكي، ولفت إليه ذلك نظر السلطان وارتفعت مرتبته لدى أرباب الدولة ونال حظوة كبيرة. وكان ابن الكماد متمكنا من علوم شتى كالمنطق، والتوحيد والحديث والفقه وفروعه، وقد توفي 1704م، وترك تلاميذ من أبرز علماء المغرب في وقتهم، مثل محمد بن عبد السلام البناني، وإدريس بن محمد المنجزة.

-سعيد المنداسي التلمساني إبان القرن السابع عشر، الذي نال الرعاية من حكام المغرب العلويين، فقد تقرب من المولى الرشيد ومن خلفه المولى إسماعيل، ونظم العديد من الأشعار في عهدهما والإشادة بكرمهما معه. ويقال أنّ السلطان محمد الشريف العلوي قد منح المنداسي نحو 25 رطلا من الذهب الخام جائزة له على بعض أمداحه فيه.

-عبد الرازق بن حمادوش الجزائري: صاحب الرحلة المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، الذي يعد واحدا من الرحالة الجزائريين القلائل في القرن 18م الذين أخذت رحلاتهم طابعا وذوقا خاصا بها، نظرا لاهتمامها بالمسائل العلمية من رياضيات وطب وصيدلة شعبية وغيرها من العلوم.

كما يعد ابن حمادوش أول جزائري يترك وصفا دقيقا لمدن مغربية مثل تطوان ومكناس وفاس وما تخللها من أحوال اجتماعية واقتصادية وثقافية خلال القرن الثامن عشر.

وفي أثناء هذه الرحلة التقى ابن حمادوش بعدد من العلماء وجالسهم وأخذ عنهم الإجازة كالعالم أحمد البناني الفاسي، الذي حضر دروسه في شرح صحيح البخاري بجامع زاوية سيدي أمحمد بن ناصر، وكذا درس في شرح سيدي خليل في الفقه المالكي، وختمة في (صفري) لسيدي أمحمد السنوسي التلمساني وهي من أهم النصوص المتداولة بين العلماء، وقد كتب ابن حمادوش قصيدة قدمها للشيخ البناني يطلب فيها الإجازة منه.

وعلى خطى ابن حمادوش سار العديد من العلماء الجزائريين وطلاب العلم إلى المغرب، نذكر منهم:

-العالم الجزائري التلمساني المولد والمغربي الدار، المعروف بالشيخ عبد الرحمان بن أحمد المنجري الإدريسي الحسني، ثم الفاسي، المعروف بالشيخ المنجرة، فقد مكث بفاس فترة طويلة حتى صار له تأثير كبير في المغرب حتى فاق أقرانه من علماء المغرب، بل إن صيته بلغ تونس، وصار يلقب الفاسي بدلا من التلمساني، وكانت له اهتمامات عديدة بالفقه والأصول والتفسير والحديث واللغة العربية.

وإذا كان هؤلاء وغيرهم من رواد العلم في القرن 18م، فإن القرن 19م شهد هو الآخر حركة هجرة كبيرة لعلماء وطلاب علم من الجزائر قاصدين المغرب، ولعل الهجرة الكبيرة لعلماء الجزائر تزامنت مع الاحتلال الفرنسي للجزائر وما ترتب عنه من تضييق الخناق عليهم لمكانتهم ودورهم في مواجهة مزاعم الاستعمار.

فمن رواد القرن 19م نذكر: محمد بن عبد القادر بن علي الراشدي الحسيني الإغريسي، كان قاضيا وفقيها من علماء المالكية، من أهل وادي الحمام بالقرب من معسكر، انتقل إلى فاس وبقي بها أعواما ثم رحل إلى طنجة ومنها إلى تونس، غير أنه عاد إلى الجزائر واستقر بقسنطينة أين تولى وظيفة القضاء بها.

- أبي ارس الناصري (ت1238هـ/1823م) الذي زار المغرب في تاريخ غير معروف للمرة الأولى، ثم زاره مرة ثانية 1801م، وخلالها زار مدينة فاس وتطوان، وحضر مجالس العلماء وناقشهم في مسائل مختلفة. كما حضر مجالس السلطان سليمان، ولعله رجع إلى المغرب مرة أخرى بعد الثورة الدرقاوية.

أما علماء المغرب فقد تعددت زياراتهم إلى الجزائر، وساهم بعضهم في حلقات التدريس التي عرفتها بعض المراكز بها، وجمعتهم بعلماء الجزائر علاقة وطيدة، من ذلك صداقة العالم المغربي أبي سالم العياشي للمرابط الجزائري أبو عيسى الثعالبي، فقد لقيه في الحجاز وأخذ عنه علوم الحديث وأسانيد الفقه المالكي، ومبادئ الزهد وعلوم الباطن.

كما سار الشيخ المغربي محمد بن سليمان الروداني المولود بتارودانت سنة 1627م إلى الجزائر وأخذ عن شيوخها، وتتلمذ كذلك على يد العالم الجزائري سعيد بن إبراهيم قدورة بالحجاز.

ونذكر أيضا أحمد بن زاكور الفاسي، الأديب واللغوي البارع، ولد ونشأ بفاس حوالي 1664م، وعلى الأرجح أنه توفي بها في 1708م، صال وجال في أقطار العالم العربي، وزار الجزائر سنة 1683م، وأخذ عن مشايخها وعلمائها، مثل الشيخ سعيد بن محمد قدورة، ومحمد بن عبد المؤمن الشريف وغيرهم وله في ذلك تأليف مشهور عن رحلته إلى الجزائر سماه: "نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان"، وهي تنقسم إلى قسمين، قسم عن أهل الجزائر والقسم الثاني عن أهل تطوان من مشايخ وعلماء.

وأخذ العالم المغربي عبد الرحمان الجامعي عن الشيخ أحمد قاسم البوني، الحديث والسيرة النبوية، وكانت بينهما صلات وثيقة، ومدح الجامعي أتراك الجزائر وعلى رأسهم الداي محمد بكداش بالأشعار عند تحريرهم وهران من يد الإسبان.

2 –العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس:

إن التفكك السياسي وحالة التدهور التي مرّ بها المجتمع المغاربي خلال العهد الحفصي والزياني لاسيما في أواخر عهدهما، قلص الدائرة الفكرية والعلمية في المنطقة المغاربية، وقد ترتب عنه هجرة عدد كبير من العلماء إلى الأقطار الإسلامية، فورثت السلطنة العثمانية أوضاعا متدهورة، كان عليها أن تعيد لها التوازن بإرساء نظام جديد ركز بشكل أساسي على الأمن والاستقرار وكذا المجال السياسي والعسكري، على أن المجال الثقافي حضي هو الآخر بنوع من الاهتمام.

يلاحظ في حركة العلماء الجزائر بين الأقطار المغاربية خاصة بين تونس والمغرب أنّ بلاد القيروان استقبلت الجزائريين واستقطبتهم في وقت مبكر منذ القرن 3هـ/9م، مقارنة بالمغرب الأقصى، لأسباب موضوعية منها السياسية والعلمية، فأما السياسية فنشير للدور الكبير الذي لعبه الأغالبة في استقطاب العلماء والاهتمام بالحركة العلمية والفكرية، وأما العلمية فإنّ القيروان كمركز علمي وكعاصمة سياسية، أقدم من فاس بنحو الثلاثة قرون، حيث تأسست القيروان في الثلث الأخير من 7م بينما لم تشتهر الثانية إلا في القرن 10م.

محاضرات مقياس تاريخ الجزائر الثقافي 2

كانت تونس من أبرز الحواضر العلمية والثقافية، وكان العلماء ينزلون بها أثناء رحلاتهم للحرمين الشريفين لأداء مناسك الحج، وبحكم أيضا تجاور الإيالتين (الجزائر–تونس) وتشابه المذاهب الفقهية بينها، سيما وأن جامع الزيتونة بتونس قد جذب إليه عددا هاما من العلماء الجزائريين كونه يعج بالعلماء الذين يلقون دروسا في مختلف العلوم، كما أولى البايات المراديين والحسينيين عناية كبيرة بالحياة الدينية والعلمية، وهذا ما أدى إلى كثرة المدارس ومختلف المؤسسات الثقافية بتونس، وقد كان العلماء الجزائريون يدركون هذا التفوق في الحركة العلمية وقد عبر الشيخ الحسن الورتيلاني في رحلته عن ذلك بقوله: " إنّ سلاطين تونس وأمرائها وأصحاب الدولة فيها صرفوا هممهم إلى العلم، وأقاموا منائر عزة، فبنوا المدارس وأوقفوا الأحباس، واعزوا العلماء، واغنوا للدرس الجلاس، فأسهموا كلا على قدر همته واشتغاله، فإذا كل شيء على أصله وفصله ومنواله، فمن لم يصبه منهم كثير، وصل إليه نزر قليل." وكان قد نصح طلابه:" فمن تمكن من تونس ووجد معينا على العلم تعليما وتعلما بأن ساعده الزمان والإقبال فرجع من غير قضاء فذلك محروم." ويضيف قائلا: "حاصلة تونس نعمة لمن أقبل على الله واشتغل بما يعنيه علما وعملا."

كما كانت تونس محطة هامة في طريق طلبة العلم والرحالة من مختلف أقاليم بلاد المغرب العربي، نظرا لوقوعها في طريق الحجاز، برا أو بحرا، إذ كانت نقطة عبور إلزامية، وكان المقري في رحلته مثلا قد جلب اهتمام علماء تونس، نظرا لمكانته العلمية وصيته، وبالرغم من مدة إقامته بها التي كانت وجيزة إلا أنه حضي بلقاء بعض من علماء تونس واجازته لهم، من ذلك إجازته للشيخ العالم أبي عبد الله محمد تاج العارفين المشهور بتاج العارفين، إذ كانت الإجازة في شكل قصيدة مؤلفة من ثلاثة وأربعين بيتا من البحر الطويل. وكذا إجازته للشيخ أبي القاسم محمد بن جمال الدين بن خلف المسراتي من القيروان بمنظومة شعرية تتألف من ثمانية أبيات، أقرّ له المقري فيها وأذن له برواية جميع مؤلفاته ومروياته.

نذكر كذلك عيسى بن محمد بن عامر الجعفري، صاحب فهرسة "كنز الرواة المجموع في درر المجاز ويواقيت المسموع"، ولد سنة 1611م من منطقة وادي يسر موطن قبيلة الثعالبة، نشأ وترعرع في منطقة القبائل الكبرى، شد الرحال نحو تونس، ثم إلى مكة حيث وافته المنية سنة 1669م.

ومثله أبو زكريا يحي بن صالح: عالم من غرداية يلقب بعمي يحي ولد ببني يزقن سنة 1714م، ارتحل إلى جربة التونسية وأقام بها قرابة اثنتي عشر سنة، وفيها تتلمذ على يد الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أحمد المصعبي، صاحب في رحلته العلمية إلى المشرق الشيخ التلاني عمرو بن رمضان التونسي الأصل من مدينة جربة، وبعد رحلته هذه رجع إلى مسقط رأسه حيث تصدر للتدريس بالمسجد .

ولنا في أبي راس الناصري نموذجا آخر من علماء الجزائر الرحالة الذين زاروا تونس وأجيزوا بها من طرف علمائها الكبار كالعالم أحمد بن عبد الله السنوسي المغربي النجار، التونسي الدار، وكذلك إجازته من طرف العالم محمد بيرم الأول، وقد أقرّ عليه فقه أبي حنيفة بـ "مختصر الكنز."

كما حصل على إجازة أبي الفيض الإمام المرتضى، وقد قرأ عليه صحيح البخاري، وابن كثير ومسلم ورسالة القشيري.

كما كان للورتلاني هو الآخر نصيبه من لقاء علماء تونس والاحتكاك بهم في رحلته، من خلال المجالس العلمية والمناظرات التي كان يعقدها في جامع الزيتونة، فقد كانت تجري النقاشات في مسائل شتى من جميع العلوم وفنون العصر حتى أن بعضها كانت تحظى باهتمام حكام البلاد على ما نقله الناصري، حين أورد في رحلته عن حضور حمودة باشا إحدى هذه المجالس .

والملاحظ أن الورتلاني في رحلته اختلف عن الرحالة الآخرين في تفاعله وحديثه عن الحركة الفكرية بتونس من خلال تسليط الضوء على واقع الثقافة بهذه الإيالة والعوامل التي ساعدت في انتشارها وانتعاشها. ومن جملة من لقيه الورتلاني من علماء تونس الشيخ عبد القادر الفاسي الذي لقيه بتوزر في حجته الأولى عام 1740م، عالم بالتفسير، حافظ للروايات. وبمدينة تونس العالم الفقيه ابن محجوبة، والسيد حمودة بن عبد العزيز (صاحب كتاب الباشي)، والشيخ العالم السيد إبراهيم الرياحي الذي كان له معه لقاء خاص ومتميز، كما وقف عند أضرحة عدد من العلماء بكل من قفصة وقابس مثل ضريح العالم الكبير ابن الشقراطيسي، والعالم المنصوري صاحب التآليف المشهورة وكذلك ضريح العالم المتصوف أحمد بن النفيس، وضريح أبي لبابة بقابس. ومن جملة العلماء الذين لقيهم الورتلاني في قابس كذلك:" العالم موسى الجمني الذي تؤخذ عنه علوم وفنون شتى، يأتيه الطلبة من كل البلاد وتشد إليه الرحال من جميع القرى والأمصار".

ومع ذلك نستشف من خلال المصادر المتوفرة أن بايات تونس لم يكونوا يعينون العلماء الجزائريون في المناصب الدينية والعلمية، كما كان يفعل بعض السلاطين السعديين، ومع ذلك فقد أكرم بعض البايات بعضا من العلماء الجزائريين، وأظهروا لهم الكثير من التقدير والاحترام.

وممن دخل تونس من العلماء الجزائريين نذكر الشيخ أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني، صاحب رحلة الروضة الشهية في الرحلة الحجازية"، عاش في المشرق مدة ثم رجع واستقر بتونس مدة طويلة وخلالها قرأ على عدد من العلماء فأجاز وأُجيز .

ونذكر كذلك ابن عمار صاحب الرحلة الموسومة بـ:" نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب"، زار تونس سنة 1195هـ. وخلال رحلة ابن عمار إلى تونس أجاز تلميذه التونسي إبراهيم السيالة. وهناك إجازة ابن العنابي لمحمد بيرم التونسي، وأحمد بن سعيد العباسي المدعو أبو العباس القسنطيني، هذا الأخير تتلمذ على يد الشيخ التونسي حسين الشريف خطيب جامع الزيتونة.

وممن تعلم بالزيتونة وتتلمذ على يد مشايخها الأديب النحوي محمد الصالح بن سليمان بن أبي القاسم الطالب الرحموني (1739-1826م) من مشدالة في بلاد القبائل.

وأما من زار تونس من الجزائريين في القرن الثامن عشر، محمد ابن الشريف الجزائري؛ مرّ بتونس أثناء رحلته إلى المشرق، ومثله العالم أحمد بن عثمان بن علي بن محمد أبو العباس التلمساني الأندلسي الذي جالس علماء تونس وتدارس معهم، أثناء وقوفه بتونس في رحلته إلى الحجاز، وافته المنية في الحجاز سنة 1738م.

محمد بن العنابي، مكث في تونس مدة وتصدر للتدريس بجامع الزيتونة، وأجاز الكثير من الطلبة في تونس.

كانت كتب التراجم تعُج بأسماء العلماء الجزائريين الذين درسوا بالزيتونة أو درَّسوا بها، فيمكن التصنيف بين صنفين من العلماء الجزائريين، صنف أول خيّر البقاء في تونس والاندماج في فئة علمائها، وصنف ثان هاجر بصفة مؤقتة لطلب العلم ثم رجع لبث ما حصل عليه بالجزائر. ومن العلماء الذين استقروا بالبلاد التونسية لطلب العلم بنفس النسق تقريبا خلال القرنين 18م و19م، فقد هاجر إليها القاضي أحمد العوادي، وينحدر من قبيلة العواودة بجهة قسنطينة، وقد تولى التدريس بالجامع الأعظم ثم تولى خطة القضاء بماطر 1828م، وكذلك الشيخ محمد بن أحمد الشريف الحسني من بلاد زواوة، والذي هاجر إلى تونس 1682م، وأخذ عن علمائها منهم الشيخ أبو الحسن الغماد، ثم تصدى للتدريس بجامع الزيتونة وتخرج عنه الكثير من الطلبة.

وأما من دخل الجزائر من علماء تونس في القرن الثامن عشر وتقلدوا مناصب في الدولة نذكر: العالم أبو حفص بن محمد الذي تولى قضاء العسكر في عهد الداي محمد بكداش.

-إبراهيم الغرياني: فقيه عالم بالأدب و كذلك حمودة عبد العزيز الكاتب الوزير، صاحب ترجمة الحاشية الوسطى للشيخ السنوسي، إبراهيم الرياحي، ومحمد الحبيب الأصرم، تونسي الأصل جزائري المولد والنشأة، حيث عاش مع أبيه في الجزائر أيام غربته، توفي سنة 1234هـ .

أما العالم محمد زيتونة الذي ولد سنة 1671م فقد دخل الجزائر بطلب من الداي محمد بكداش، فاستعمله كمستشار له في الحكم، خوفا من نشوب تمرد في أوساط الجيش الإنكشاري، واستعان به كذلك الداي شعبان خوجة وولاه القضاء الحنفي.

وفي السياق دائما نذكر العالم أحمد بن مصطفى برنار (1664-1726م)، شيخ الحنفية في تونس بعد مكوثه في الحجاز مدة رجع إلى تونس ومنها دخل إلى إيالة الجزائر، وخلال جولته إليها زار عنابة وقسنطينة ومنطقة القبائل أين كانت له لقاءات عدة مع علماء الجزائر، لقبه الوزير السراج بـ "شيخنا". كما نجد كذلك العالمان التونسيان محمد الشافعي الباجي وأحمد الأصرم رافقا أحمد بن الحسين باي سنة 1735 في زيارة إلى إيالة الجزائر، وشاركا في نشر العلم والتدريس بها.

أما عن الطرق الصوفية فهي كثيرة ومتشعبة المضارب والمناطق بين الجزائر وتونس إذ لا يمكن حصرها في هذا الباب وعلى سبيل المثال نذكر منها :

-**الطريقة الرحمانية الجزائرية في تونس**، وهي فرع من الطريقة الخلواتية، وتنسب الرحمانية إلى الشيخ المتصوف عبد الرحمان القشتالي الجزائري المولود سنة 1720م، وكان هذا الشيخ بعد عودته إلى الجزائر من رحلة الحج وطلب العلم في المشرق سنة 1769م، أسس زاويته بآيث إسماعيل بمقر مسقط رأسه، ثم فرع لها بمدينة الجزائر حين انتقل إليها، ونظرا لصيته أقدم عليه الطلبة من الجزائر ومن تونس، ليصير لطريقته فرع في تونس على يد أحد تلامذته المدعو مصطفى الطرابلسي ليخلفه على رأس الطريقة هناك أحمد بن علي بوحجر، حيث لعب دوار بارزا في تثبيت الطريقة الرحمانية في تونس، مما أسهم في تأسيس زاوية الكاف بين الجزائر وتونس سنة 1784م، والتي من شيوخها الشيخ الصعيدي، والشيخ الدردير.

-**الطريقة الشاذلية التونسية في الجزائر**: تنسب هذه الطريقة لأبي الحسن الشاذلي المغربي المولد والنشأة، والتونسي الدار والمسكن (1196-1258م)، ارتحل إلى تونس بعدما جاب المشرق، واستقر في منطقة شاذلة التي ينسب إليها، لم يحدد تاريخ دخول الشاذلية للجزائر، إذ لا يوجد لها ذكر قبل القرن 15م، غير أنّ أشهر من تأثر بالطريقة الشاذلية في الجزائر، الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، والشيخ أحمد زروق البرنوسي.

-3 -العلاقات الثقافية بين الجزائر وطرابلس الغرب:

تحتل ليبيا موقعا جغرافيا هاما، فهي تشكل همزة وصل بين الشرق الإسلامي وغربه، وهي نقطة عبور ضرورية يمر عبرها الرحالة في رحلاتهم إلى المشرق من أجل طلب العلم أو لأداء فريضة الحج، وعلى غرار الرحالة المغاربة الذين مروا عبر ليبيا نحو المشرق، فإن الرحالة الجزائريين مروا هم كذلك بها فقد، سنحت الفرصة للورتلاني أثناء رحلته العبور عبر ليبيا، وقد ساهم ذلك في تقديم عدة ملاحظات حول هذا البلد من حيث: انعدام التدريس، وفقر المواد المدرّسة في مراكز التعليم، وقلة اهتمام حكام طرابلس واشتغالهم بالعلم والعلماء، حيث قال:" ... أما طرابلس وعمالتها، فقد ضاقت على أهلها المعيشة، وما هي إلا بالكدّ والجدّ والسعي الكثير، ومع ذلك فلا يستقرون على طائل، فقد انعدم التدريس للعلم في طرابلس، وقلّ الانشغال بالعلم، فلا تجد مجلسا فيها، وكيف يتصور العلم فيها، مع أن علماءها أفضل علماء الأوطان، غير أنّ لما انعدم التدريس منهم، صاروا قاصرين لعدم الإنفاق على العلم، فالعلم يزيد بالإنفاق وينقص بعدمه، فلما ضعف أمر البلاد قصر العلم فيه، بل كاد أن ينعدم العلم، ومن أراد العلم فليذهب إلى مصر والى تونس أو إلى جربة مدرسة أشياخ البركة".

وممن زار الجزائر واستقر بها من علماء طرابلس نذكر الشيخ أبي عبد الله الخروبي في العصر الحديث، حيث استعان به حكام الجزائر العثمانيين في سفارة دبلوماسية إلى المغرب كانت فاشلة. ولقد أرجع المؤرخ حسين مؤنس فشل مهمة الشيخ الخروبي إلى كونه رجل علم لا يفقه من أمور السياسة شيئا، فبدل أن ينجز المهمة التي كلفه الأتراك بها، راح يجادل فقهاء المغرب في مسائل لا علاقة لها بالغاية التي جاء لأجلها.